البنية الرمزية والفن السردي للشخصية الأنثوية في روايات وقصص غسان كنفاني

م.م روزا مهدي محمد

التخصص العام اللغة العربية .الادب

التخصص الدقيق. الادب الحديث

مركز چەرموو للبحوث والتدريب والاستشارات، جامعة چەرموو ، جمجمال، إقليم كردستان، العراق.

البريد الإلكتروني Email : roza.mahdy@chu.edu.iq

الكلمات المفتاحية: غسان كنفاني، المرأة الفلسطينية، البنية السردية، الرمز الوطني.

كيفية اقتباس البحث

محمد، روزا مهدي ، البنية الرمزية والفن السردي للشخصية الأنثوية في روايات وقصص غسان كنفاني ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، آب ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٨ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Symbolic Structure and Narrative Art of the Female Character in Ghassan Kanafani's Novels and Stories

Roza Mahdi Mohammed
General Specialization of Arabic Language. Literature
Specific Specialization: Modern Literature
Jarmo Research and Training Center, Jarmo University, Jamjamal, Kurdistan Region, Iraq

Keywords : Ghassan Kanafani, Role of Women, Cold Foundation, Literature of Resistance, National Symbol.

How To Cite This Article
Mohammed, Roza Mahdi, The Symbolic Structure and Narrative Art of the Female Character in Ghassan Kanafani's Novels and Stories,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, August 2026,Volume:16, Issue 8.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study, entitled The Symbolic Structure and Narrative Art of the Female Character in Ghassan Kanafani's Novels and Stories, attempts to analyze the image of Palestinian women in Ghassan Kanafani's literature from a new critical perspective Instead, he has placed women as a complex “intellectual and artistic structure” in his texts, in which women become a great symbol of the country, suffering, and resistance.

Based on structuralism, especially the views of Gerard Genet and Hamid al-Hamidani, the study highlights how Kanafani has transformed women from “silent victims” and “traditional mothers” to “political actors” and “revolutionary symbols”. The study responds to criticisms that Kanafani marginalizes women, and proves with textual evidence that women in Kanafani literature are an essential genre for the maintenance of Palestinian national identity and struggle.

The study consists of two discussions: the first is devoted to the study of women as symbols of the country and political issues, and the second is to analyze the narrative structure. Finally, the study concludes that by creating an eternal connection between the “woman's body” and the “land of Palestine”, Kanafani is able to provide a literary discourse in which women appear as the main pillar of survival and defense.

الملخص:

تسعى هذه الدراسة، البنية الرمزية والفن السردي للشخصية الأنثوية في روايات وقصص غسان كنفاني"، إلى تحليل صورة المرأة الفلسطينية في أدبه من منظور نقدي جديد. إذ يرى كنفاني أن المرأة في نصوصه تُشكّل "بنية فكرية وفنية" معقدة، حيث تُصبح رمزًا بارزًا للوطن والمعاناة والمقاومة.

وانطلاقًا من البنيوية، ولا سيما آراء جيرار جينيه وحميد الحميداني، تُسلّط الدراسة الضوء على كيفية تمكّن كنفاني من تحويل المرأة من "ضحايا صامتات" و"أمهات تقليديات" إلى "فاعلات سياسيات" و"رموز ثورية". وترد الدراسة على الانتقادات الموجهة لكنفاني بتهميشه للمرأة، وتُثبت بالأدلة النصية أن المرأة في أدبه تُمثّل عنصرًا أساسيًا في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية والنضال.

وتتألف الدراسة من نقاشين: الأول يُعنى بدراسة المرأة كرمز للوطن والقضايا السياسية، والثاني يُعنى بتحليل البنية السردية. وتخلص الدراسة في الختام إلى أن غسان كنفاني، من خلال ربطه الأبدي بين "جسد المرأة" و"أرض فلسطين"، يُقدّم خطابًا أدبيًا تبرز فيه المرأة كركيزة أساسية للبقاء والدفاع.

تمهيد:

في أدب غسان كنفاني، لا تُصوَّر المرأة مجرد كائن على الورق، بل كبنية فكرية وفنية معقدة. في نصوصه، تُمثّل المرأة فضاءً مجازيًا تتجلى فيه لعبة "الرمز" و"السرد". وفي سعيه الدؤوب لفهم بنية الواقع الفلسطيني المشوّه، استخدم كنفاني جسد المرأة ومصيرها وصوتها كوسيلة لترميم هذا الواقع، أو لكشف عيوبه. في الواقع، تحتل المرأة العربية عمومًا، والفلسطينية خصوصًا، مكانةً بارزةً في الإنتاج الأدبي للعديد من المفكرين؛ ففي الروايات الفلسطينية، تُصوَّر المرأة كمثقفة وناشطة ورمز للأرض والحكمة والمقاومة، وهو ما كرّس كنفاني نفسه له.على الرغم من ذلك، فإن ما يثير الاستغراب في هذا السياق هو وجهة نظر بعض النقاد؛ على سبيل المثال، ترى آشور أن حضور المرأة في أدب كنفاني كان محدودًا و"متمحورًا حول الرجل"، وتصفه بأنه عيب في تقديم صورة المرأة الثورية، مشيرةً إلى أن كنفاني كانت أكثر دراية بالرجال (آشور،

١٩٧٧: ٤٦-٤٧).ويتفق عبد الهادي أيضًا على أن كنفاني لم تعكس الدور القيادي للمرأة في الثورة (عبدالهادي، ١٩٨٧: ٣٣).ورغم إشارتها إلى أن رواية "أم سعد" فريدة من نوعها في احتفائها بالرمزية الأنثوية، إلا أن منصرة تستنتج في النهاية أن ديناميكية المرأة الفلسطينية مهمشة في روايات كنفاني (مناصرة، ٢٠٠٢: ٦١-٦٢).

لكن الحقيقة هي أن هذا ظلمٌ لكنفاني؛ لأنه تميّز بأدبه الثوري ونظرته الثاقبة للواقع المعيش، لدرجة أن باحثين مثل إحسان عباس وصفوه بأنه "كاتب سياسي تستمد قيمته من القضية التي يمثلها" (عباس وآخرون ، ١٩٧٤: ٥٣). في هذه الورقة، يحاول الباحث تتبع مسار كيفية تضافر الأبعاد السيميائية مع البنى السردية، بحيث لا تظهر المرأة ككائن خامل، بل كساحة مفتوحة للتفاوض بشأن قضايا الهوية والوجود والدفاع.

سيرة غسان كنفاني:

وُلد غسان كنفاني في ٩ أبريل/نيسان ١٩٣٦ في مدينة العقبة المحتلة. عاش حياةً مليئة بالنزوح والنضال، لا سيما بعد فراره من يافا خلال نكبة ١٩٤٨، حيث عاش لاجئًا في لبنان وسوريا. أكمل كنفاني تعليمه الابتدائي في مدارس فرنسية في يافا ودمشق، وحصل على شهادة البكالوريوس في الأدب العربي من جامعة دمشق. انضم كنفاني إلى الحركة القومية العربية عام ١٩٥٣، وبرز كقائدٍ بارز. في عام ١٩٦٩، أصبح المتحدث الرسمي وعضوًا في المكتب السياسي ورئيس تحرير مجلة "الحدافي"، التي اتخذها منبرًا للتعبير عن آرائه. تزوج كنفاني وله ابن وابنة، ويُعتبر أحد أهم الكُتاب الفلسطينيين والعرب في القرن العشرين، ورائدًا في أدب المقاومة. لطالما ارتبطت فلسطين ارتباطًا وثيقًا بالقضية الوطنية. لقد سُجن عدة مرات بسبب آرائه السياسية وعانى من التهجير والمراقبة الأمنية حتى اغتيل في بيروت في ٨ يوليو ١٩٧٢ بتفجير سيارة مفخخة زرعتها. وكالة المخابرات الصهيونية الموساد اليسارية في سيارته (السهلي، ٢٠٢٣).

أهداف الدراسة:

١ .فهم العلاقة الوثيقة التي ربطها غسان كنفاني بين شخصيات النساء والأرض والأمة الفلسطينية، لإظهار كيف أصبحت النساء رمزًا للأمة.

٢ .دراسة الأساليب الفنية التي استخدمها كنفاني في تصوير النساء، لبيان كيف تظهر المرأة كقوة فاعلة ومؤثرة في قصصه.

٣. توضيح أن المرأة ليست مهمشة في أدب كنفاني، بل هي عنصر أساسي في الحفاظ على الهوية الوطنية وإيصال صوت النضال الفلسطيني.

أهمية الدراسة:

١. تركز هذه الدراسة على جانبٍ هام من أدب غسان كنفاني، لم يُناقش بشكلٍ صحيح في العديد من الدراسات السابقة، أو أُسيء فهمه.

٢. تُبرز هذه الدراسة القيمة الأدبية للشخصيات النسائية في أدب الدفاع، وتُبين كيف استطاع كنفاني أن يُضفي على المرأة بُعدًا وطنيًا.

٣. تُعد هذه الورقة ردًا أكاديميًا على الانتقادات التي تتهم كنفاني بالتركيز على الذكورة وتهميش المرأة، استنادًا إلى أدلةٍ في النصوص.

٤. ستُعرّف هذه الدراسة القراء والباحثين المستقبليين ببراعة كنفاني في استخدام الرموز والسرديات لإنتاج معانٍ جديدة حول القضية الفلسطينية.

٥. ستُشكل هذه الدراسة مرجعًا جديدًا لفهم كيفية ربط معاناة المرأة الفلسطينية بالنضال الوطني، مما سيُسهم إسهامًا كبيرًا في أدب المقاومة.

منهجية البحث:

تستخدم هذه الورقة البحثية منهجًا مُركبًا (كيميائيًا وبنيويًا)؛ فمن خلال المنهج السردي (المستند إلى آراء بير زيما)، يتم تحليل المرأة كرمز ثقافي ووطني في نصوص الكنفاني. وفي الوقت نفسه، ومن خلال المنهج البنيوي (باستخدام نظريات جيرار جينيه وحميد الحميداني)، يُولى اهتمام خاص لفن السرد والتقنيات التي استخدمها الكنفاني لتحويل الشخصية الأنثوية من "ضحية إلى فاعلة ثورية".

سؤال البحث:

١. ما الرمز الذي استخدمه غسان كنفاني للمرأة في تمثيل الدولة الفلسطينية؟

٢. كيف وظّف كنفاني فن السرد لتحويل دور المرأة من شخصية ثانوية إلى شخصية فاعلة؟

٣. لماذا يعتقد بعض النقاد أن المرأة مهمشة في أدب كنفاني، وما مدى صحة هذا الرأي؟

٤. كيف ساهم دور المرأة في روايات كنفاني في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية ونضالها؟

محددات الدراسة:

هي تحليل للبنية الرمزية والفن السردي للشخصية الأنثوية في روايات وقصص غسان كنفاني.

المرأة في أدب الكنفاني:

يُصنّف الباحثون والأكاديميون غسان كنفاني عمومًا ككاتب سياسي، تستمد أعماله قيمتها من القضية التي يتبناها، مع أن معظمهم يصفه بالكاتب والسياسي والناشط في آنٍ واحد (عباس وآخرون، ١٩٧٤، ٥). ورغم أن حصر غسان كنفاني بهويته السياسية فقط يُعدّ تقييدًا مجحفًا لنصوصه، فإن التسييس عنده ليس جزءًا من الأدب، بل هو منظور لفهم الناس.

ويُصوَّر عادةً أن أدب غسان كنفاني ذو طابع ذكوري، وأنه عاش ومات من أجل قضية استحوذت عليه تمامًا؛ ولذا، أصبح المثل الشهير "أكتاف الرجال خُلقت لحمل البنادق" رمزًا لهذا الرأي (كنفاني، ١٩٩٩، ٦٤٣). إلا أن هذا التصنيف الذي يُصنّف أدب غسان على أنه ذكوري، وإن بدا صحيحًا ظاهريًا، يتجاهل القوة الكامنة وراء شخصياته النسائية. إن مقولة "أكتاف الرجال خُلقت للبنادق" لا تُعدّ دليلاً على تهميش المرأة، بل يمكن اعتبارها واقعاً تاريخياً قاهراً سجّله غسان كحقيقة مُرّة، لا أيديولوجية لإضفاء الطابع الذكوري على العالم.

وقد دفع هذا التصوير الكثيرين إلى الإشارة إلى أوجه القصور الملحوظة في تصوير كنفاني للمرأة، وهي نقطة أثارها الروائي المصري رضوى اشور بالتفصيل في كتابه "الطريق إلى الخيمة الأخرى"، مع أنه من البديهي والمُسلّم به أن لكل كاتب الحق في الكتابة عمّا يعرفه حق المعرفة (اشور، ١٩٧٧، ٤٦).

يُعدّ نقد رضوى اشور ذا قيمة عظيمة لأنه فتح الباب أمام قراءة نقدية جديدة لأدب غسان. مع ذلك، يجب النظر إلى هذا النقد كدعوة للغوص في التفاصيل، لا كدليل على قلة خبرة غسان. نرى في هذه الآراء ظلمًا لكنفاني، ونعتقد أنها قاصرة في تحليل صورة المرأة عمومًا والأم خصوصًا في أدبه. لذا، تهدف هذه الدراسة إلى إنصاف كنفاني والرد على الاتهامات الموجهة إليه من خلال تقديم أدب يتمحور حول الرجل. فرغم أن غسان كنفاني كان رجلًا صاحب مبدأ، إلا أنه لم يضطلع بدور بارز في حياته وأدبه، بل تناول جميع جوانب الحياة، بما فيها الأم والزوجة. تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها محاولة لرسم صورة أشمل وتقديم فهم أعمق لأدب غسان، لأن من اعتبروا أدبه ذكوريًا كانوا يقصدون التعبير عن مشاعرهم تجاه النصوص، فالكلمات دائمًا ما تحمل معاني متعددة.

في الواقع، تُشبه علاقة الأدب بالحياة علاقة الجنين برحم أمه (دراج، ١٩٧٢، ١٢١)، وكانت الثورة هي الإطار الذي استلهمت منه كنفاني كتاباتها، حيث كانت النساء في رواياتها إما ثائرات أو منخرطات بشكل مباشر (دكروب، ١٩٩٢، ١٤١٢). بالنسبة لغسان، الثورة ليست مجرد ساحة معركة، بل هي أيضًا مجالٌ لخلق هوية إنسانية جديدة. عندما نقول إن الثورة هي الإطار

الذي استلهمت منه كتاباته، يجب أن نضيف أن النساء في هذا الإطار لسن مجرد فئة ثانوية، بل هنّ الركيزة الإنسانية التي تقوم عليها الثورة؛ لذلك، فإن دور المرأة في ثورة غسان هو دور أسطوري وبنّاء. لا وجود للحياد في أدب غسان كنفاني (دكروب، ١٩٩٢، ١٤١٢)، مع أن الحرب ليست حكرًا على الرجال، بل هي حرب الشعب بأسره، وبالأخص للأمهات اللواتي يُربّين أبناءهن على دماء الثورة والانتفاض (كنفاني، ١٩٩٩، ٦٤٣).

إن غياب الحياد في أدب غسان دليل على التزامه العميق بقضيته. وقد حوّل هذا الحياد غسان من كاتب عادي إلى صوت حيّ لا يسكت عن معاناة الأمهات وتضحياتهن. هنا نرى أن "حرب الأمهات" عند غسان هي أسمى مراتب الثورة، مما يُثبت أن غسان ينظر إلى النساء والأمهات في أعماق فكره كثائرات.

مقارنة بين أجساد النساء والتربة:

ترتبط أدبيات غسان كنفاني ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع عمومًا؛ إذ يدرس هذا المنهج النصوص الأدبية من حيث مدى تعبيرها عن البنى الاجتماعية؛ بحيث لا يُنظر إلى الظاهرة الأدبية كظاهرة مستقلة، بل كحاملة لتأثيرات المجتمع والجماعة والمؤسسة الأدبية التي أنتجتها.

ولا شك أن ظاهرة تحويل الأدب إلى رواية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمناخ الاجتماعي والسياسي (دراج، ١٩٧٢، ١٢١). في هذا السياق، تتجاوز صورة المرأة في أدب كنفاني مجرد كونها شخصية فردية عادية، إذ تُصوَّر على أنها "مصنع التضحية والكنز البشري للثورة". في الوقت نفسه، تتشكل رابطة أبدية من الوحدة بين المرأة والأرض؛ بمعنى ما، المرأة هي الأرض والأرض هي المرأة (كنفاني، ١٩٩٩، ٢٥٠). هذه أعمق صورة أدبية في النصوص؛ فعندما نقول إن المرأة هي الأرض، فهذا يعني أن الأرض لم تعد شيئًا خارجيًا فُقد، بل أصبحت جزءًا من وجودها. ولهذا السبب يُستخدم "جسد المرأة" كخريطة لمعاناة الوطن.

فعندما ينهار الجسد وتجف الأيدي، لا يكون ذلك مجرد إرهاق فردي، بل انهيار للدفاعات من أجل الحفاظ على هذا الارتباط الأرضي.

هذه العلاقة أشبه بعقد تبرع مُختوم بالدم والتضحية، إذ تُقدم النساء باستمرار أجيالًا جديدة للثورة، وتستقبل فلسطين ذلك الجيل من أجل الحرية (كنفاني، ١٩٩٩، ٣٣٤). من خلال هؤلاء الأمهات الثوريات، ستبقى فلسطين أرضًا نابضة بالحياة. هذه الهبة المتوارثة جيلًا بعد جيل تُثبت أن إرادة الشعب أقوى من الأدوات المستخدمة لتدميره. هنا، تُصبح أجساد النساء، ولا سيما أيديهن الجافة المتشققة التي تغيرت كجذور الأشجار من شدة التعب، رمزًا للجذور الراسخة في الأرض (عبدالهادي، ١٩٨٧، ٥٣).

لذا، فإن هدف العدو في هذا الصراع السياسي ليس المواجهة المسلحة فحسب، بل أيضًا محاولة فصل هذه الحركة الثورية عن أرضها، لأن انتصار العدو في هذا الفصل يعني انتصاره في إنهاء الثورة الوطنية نفسها (المسيري ، ١٩٨٢، ١٧٦).

يعلم العدو أنه إذا فُصلت النساء (بصفتهن حاميات الأرض والثقافة) عن أرضهن، فإن الثورة ستذبل من جذورها. لذلك، فإن جميع محاولات الغزو التي تهدف إلى "تهجير" أو "انتهاك كرامة المرأة" هي في جوهرها محاولة مُخططة لقطع الصلة الوجودية بين الإنسان والأرض. فإذا فُصلت النساء عن الأرض، أصبحت الأرض في نظرهم "أرضًا بلا مالك". من الغازي.

الأم كرمز للوطن:

الأمومة هي العاطفة الجارفة التي شغلت الكُتّاب والشعراء منذ فجر الأدب، وحوّلت المرأة من كائن أرضي إلى رمز مقدس، حتى باتت العدالة، على مستوى عظمة الأم، لا تُوجد إلا في عبارة "العالم أم". في هذا السياق، تُحاول هذه الدراسة فهم طبيعة الأم في أدب غسان كنفاني، حيث تُصوَّر الأم كحجر الزاوية في المجتمع، والحامية الوفية، ومصدر قوة القضية العادلة. ورغم أن كنفاني يُقدّم صورًا مُتعددة للأم في رواياته، مثل أم سعد، التي تبقى نموذجًا فريدًا؛ ليس فقط لأن الرواية تحمل اسمها، بل لأنها شخصية حقيقية التقاها الكاتب في طفولته في فلسطين، ثم في مخيمات اللاجئين.في الواقع، تتجاوز الأم في هذا الأدب كونها شخصية فردية عادية، لتُصبح نموذجًا للمرأة التي تفوح منها رائحة البارود أكثر من رائحة المطبخ؛ لذا، لا يُمكن الحديث عن هذه الشخصية دون الدعوة إلى ثورة، لأنه كما يتضح من رواية أم سعد، لا يُمكن النظر إلى الأم دون مقاومة، وتُعتبر التعبير الأدبي عن حركة الشعب الفلسطيني (ماضي، ١٩٧٨، ٢٤).

في أدب غسان كنفاني، لم تعد الأم مجرد مصدر للحنان والحب، بل أصبحت رمزًا مقدسًا متوحدًا تمامًا مع الأرض والوطن. يُبدع كنفاني في تحويل صورة الأم – لا سيما في شخصية أم سعد – من كائن منزلي ضعيف إلى امرأة تفوح منها رائحة البارود بدلًا من رائحة المطبخ. لهذا التحول دلالة سياسية بالغة الأهمية؛ فالأم هنا تُصبح المدافعة المخلصة عن الوطن ووقود الثورة.لا يقتصر دفاع المرأة على الدفاع المسلح العاري، بل هو دفاع عن الهوية؛ فقد أبرمت عقدًا مع الوطن بالدم والتبرعات، لأنها ستُنجب طفلًا سيصبح مناضلًا من أجل الحرية، وستستعيد فلسطين أرضها وهويتها على يديه (كنفاني، ١٩٩٩، ٣٣٤). لذا، في هذه الصورة الأدبية، يُصوّر كنفاني الأم كمدافعة مقدسة وثورية صنعت وجودها في المقاومة، والقضية نفسها هي التي تتطلب إدراج النساء في الأدب الفلسطيني كرموز للمقاومة والتضحية.

النساء كمدافعات:

في أدب غسان كنفاني، تتغير صورة المرأة من كونها فرداً عادياً إلى كيان أمومي متكامل؛ امرأة ثورية، مجتهدة، حنونة، وشغوفة. مع ذلك، تشير الأبحاث في هذا الصدد إلى قصور في تقديم الصورة الكاملة للثائرات. ترى بعض الناقدات، مثل رضوى اشور، أنه على الرغم من المشاركة الواسعة للنساء، إلا أن الثورة الفلسطينية لا تزال ثورة ذكورية بفاعلين ذكور (اشور، ١٩٧٧، ٤٧). كما تؤكد فيحة عبد الهادي أن غسان لم يوفق في أداء دور القائدة والمنظمة لملايين النساء الثوريات (عبدالهادي، ١٩٨٧، ٣٣).

والسؤال المطروح: هل نجح كنفاني في دحض اتهام الأدب الذكوري من خلال شخصية أم سعد، وتقديم نموذج نسوي مثالي؟ للإجابة على هذا السؤال، نعرض موضوع الشجاعة والتضحية في الشخصية النسائية في ثلاثة أجزاء:

١. الشجاعة والوعي الثوري: إن استيقاظ المرأة من حالة الجهل إلى الوعي الثوري يُعد تحولًا فريدًا (أحمد، ١٩٩٩، ٤٣). في شخصية أم سعد، نجد هذه المرأة مصممة على أن تكون اللاعب الرئيسي في الصراع لأن المعركة كانت معركتها قبل أن تكون معركتها مع أي شخص آخر (الشامي، ١٩٩٨، ٨٧). كما أنها تشق طريقها تحت وطأة البؤس، على خطوط المواجهة، وستواصل بذل جهد أكبر من أي شخص آخر (كنفاني، ١٩٩٩، ٦٤٢).

٢. التضحية: أثبتت النساء أن الشجرة اليابسة لا تبقى جافة، بل تصبح كرمة (كنفاني، ١٩٩٩، ٢٤٩).

٣. التعلق بالأرض: بالنسبة للمرأة المدافعة، لا يوجد للبندقية إلا اتجاه واحد، ألا وهو الأرض التي تعشقها حدّ النشوة (كنفاني، ١٩٩٩، ٢٥١). وخلاصة القول، على الرغم من وجود انتقادات لتجاهل دور المرأة الريادي في أدب كنفاني، إلا أن الصورة التي رسمتها في شخصياتها تُبرز شجاعة المرأة وتضحيتها وتعلقها التام بوطنها.

المرأة بين المعاناة الشخصية والواجب الوطني:

في أدب غسان كنفاني، تُصوَّر المرأة عالقةً بين قطبين متناقضين: قطب الأمومة المفعم بالألم الشخصي، وقطب الواجب الوطني الذي لا طائل منه. ويتطلب تحليل هذا الوضع مزيجًا من المناهج السوسيولوجية والنفسية لإبراز العلاقة المعقدة القائمة

بين هيمنة الجانب الأمومي وضعف الهوية الأنثوية الفردية. ففي أدب غسان كنفاني، تلعب المرأة دورًا محوريًا في التغيير الاجتماعي من خلال تحمل أعباء الأسرة وإرسال أبنائها إلى ساحات النضال (الشامي، ١٩٩٨، ٥٠).

وبناءً على هذا التصور، تعيش المرأة في دائرة مغلقة (سجن)؛ إذ يرى كنفاني أن المعسكر والمنزل والحياة عمومًا للمرأة أشبه بسجن ذي حدود محددة (كنفاني، ١٩٩٩، ٢٥٥). هنا، لا يُعدّ معاناة المرأة مجرد شوق عاطفي عادي، بل تعبيرًا عن بؤس بلدٍ يعيش في وضع سياسي وجغرافي متأزم منذ سنوات (كنفاني، ١٩٩٩، ٢٧٠). ورغم أن هذا الألم يهزّ قلب الأم بكلّ ما فيه من رقة، تُصوَّر النساء كشخصيات "سليمة" عاطفيًا، يُعبِّرن عن وعيهنّ العميق وحبّهنّ للوطن من خلال فخرهنّ بنضال أبنائهنّ (كنفاني، ١٩٩٩، ٢٦٤).

للواجب الوطني قيمة أسمى في ذهن المرأة الكنفانية من الحفاظ على استقرار الأسرة. في هذا السياق، لا تُضعف رغبة المرأة في تقديم معاناة فردية في سبيل الوطن من شأنه، بل تُصبح السبب الوحيد لبقائه، وتعكس إرادتها في الحفاظ على الوطن ككيان مقدس وحيّ في ذهنها.

النساء كضحايا للحرب والنزوح:

في أدب المقاومة الفلسطينية، لا تُصوَّر المرأة كضحية صامتة فحسب، بل كرمز حيّ للتهجير والمقاومة. في هذا الجزء من الدراسة، نعتمد على منهج بيير زيما لفهم المستويات النصية والبنية الاجتماعية. في نقده للبنيوية، يؤكد زيما أن النص الأدبي ليس مجرد بنية معانٍ، بل هو "خطاب اجتماعي" يُجسِّد بدقة المصالح والقضايا السياسية من خلال المستويات اللغوية (الكلمات، والمعاني، والنحو، والسرد) (أيوب، ٢٠١١، ٩٧). يُمكِّننا هذا المنهج من قراءة المرأة في النص الكنفاني كـ"علامة اجتماعية" تُمثِّل المعاناة والنضال في آنٍ واحد.

إن الشخصية النسائية في أدب الكنفاني – ولا سيما تصوير الشخصيات النسائية – هي التعبير الحقيقي عن الأم الفلسطينية التي مرت بفترة من التهميش والعجز. كما يتضح من قصة أم كلثوم، حيث شهدت هذه المرأة تدهورًا في مستوى المعيشة في مخيمات الإيواء، وعانت من ألم النزوح لعشرين عامًا (الشامي، ١٩٩٨، ٥٠).

في هذا السياق، يتحول مفهوم "الخيمة" من مجرد رمز للجوء إلى رمز سياسي؛ فلم تعد خيمة اللاجئين مجرد مأوى، بل أصبحت خيمة مقاومة ورمزًا للصمود، ينعكس ذلك على مستوى الخطاب الفني والصورة (أبو شقرة، ٢٠١٠، ٧٩).هذه المرأة، التي لم تنل في حياتها سوى الخبز اليابس وقليل من الماء، كرست حياتها وحياة أبنائها للقضية، ومع ذلك تشعر دائمًا بالنقص (كنفاني، ١٩٩٩، ٢٦٣). في هذا الأدب، لا يُنظر إلى الموت على أنه قضية تخص الموتى، بل الأحياء الذين يكافحون من أجل البقاء وسط النزوح (كنفاني، ١٩٩٩، ٥١٢). في هذه الظروف، تبقى المرأة صامدة كالجبل، لكن تحت وطأة عشرين عامًا من النزوح والإرهاق، تتدفق دموعها من كل مسام جلدها، إلا عينيها؛ وهذا دليل على ألمٍ تجاوز حنين الأمهات إلى ألم وطنٍ

يكافح من أجل البقاء في الوحل والماء (كنفاني، ١٩٩٩، ٢٧٠). في هذا النص، استطاع كنفاني أن ينقل الشخصية الأنثوية من سياق "الضحية البسيطة" إلى "رمز سياسي" يجمع بين المقاومة والنزوح.

فشل المرأة ونجاحها في تحقيق هويتها بمعزل عن الرجل:

في أدب المقاومة الفلسطينية، تُعدّ قضية الهوية الأنثوية من أكثر القضايا تعقيدًا التي تُثار حولها نقاشات مستمرة. وقد سعى غسان كنفاني، من خلال شخصياته، إلى تحرير المرأة من قيود التهميش، وجعلها فاعلة سياسيًا واجتماعيًا. ورغم الانتقادات التي تُشير إلى أن الحركة النسائية في روايات كنفاني لا تزال حركة هامشية، فإن هذا الجزء من الدراسة يسعى إلى توضيح كيف استطاعت المرأة أن تجد هويتها خارج هيمنة الرجل، وفي كنف كرامة العمل والمقاومة. تُعبّر الشخصية النسائية في أدب كنفاني عن تمردٍ عظيم على التقاليد السائدة؛ فهي ترفض الخضوع لرموز الخيانة والعجز، وباستخدامها الرصاصات الفارغة كرمزٍ للعقد، تُعلن دخول أفكار جديدة إلى عالم المقاومة (الشامي، ١٩٩٨، ٨٦). حتى في مواجهة السلطة الذكورية، تتحدى المرأة الرجل صراحةً: "إن كنت رجلاً، فحاول أن تأخذه" (كنفاني، ١٩٩٩، ٣٢٤).على الرغم من أن بعض الباحثين، مثل فيحة عبد الهادي، يرون أن الحركة النسائية في روايات كنفاني مهمشة باعتبارها حركة ذاتية التحفيز (عبدلهادي، ١٩٨٧، ٥٣)، فإن الكتابة في جوهرها فعل صدق. وهكذا، تتحول المرأة من مجرد شخصية إلى رمز لكل الأمهات الفلسطينيات اللواتي ضحين بأبنائهن من أجل الوطن (باسل، ١٩٨٠، ٧٢). يكمن نجاح المرأة في هذه النصوص في هويتها المرتبطة بـ"العمل" و"التضحية من أجل الوطن". ورغم وجود انتقادات لتهميش بعض الجوانب السياسية للمرأة في نصوص كنفاني، إلا أن الشخصية نفسها قوية وواقعية لدرجة أنها تُمهد لفهم جديد لقضايا المرأة؛ امرأة لم تعد تنتظر إذن الرجل لتقرر البقاء أو النضال. وهذا دليل على أن كنفاني، ككاتبة، كانت تتمتع برؤية تقدمية، ورأت في المرأة فاعلة رئيسية في التاريخ الفلسطيني، لا مجرد رفيقة صامتة.

السرد:

يُعدّ السرد أحد أهمّ ركائز الرواية، ما جعله محطّ اهتمام اللغويين والنقاد. فعندما ندخل عالم غسان كنفاني، لا يقتصر السرد على كونه وسيلة لنقل الأحداث، بل يتعدّاه إلى منبرٍ لفهم نفسية الشخصيات النسائية والتغييرات التي أحدثها كنفاني في تصوير المرأة من خلال فنّ السرد.

السرد كوسيلة لتصوير النساء: عند تطبيق معايير السرد على الشخصية النسائية في أدب كنفاني، ندرك أن "فهم السرد يكمن في كيفية بنائه أكثر من مجرد مضمونه". فالسرد الذي يحوّل

المرأة الفلسطينية من أمٍّ بسيطة إلى امرأة ثورية هو جزء من البنية السردية التي وظّفتها كنفاني ببراعة فائقة (جينيت وآخرون، ١٩٨٩، ٩٧).وهنا، ومن خلال أساليب سردية متنوعة، ترسم كنفاني "جمالية أنثوية" وسط النزوح والمقاومة. فالسرد، بالنسبة لها، ليس مجرد رواية قصة امرأة، بل هو فعل "كشف" عنها وهي تنتقل من حالة الجهل إلى الوعي الثوري. وهكذا، تُصمّم كنفاني سردها بطريقة تجعل المتلقي لا يرى الأحداث فحسب، بل يرى أيضًا التحولات النفسية والاجتماعية التي حلّت بالمرأة الفلسطينية، جاعلةً من البنية السردية مرآةً تُظهر كرامة المرأة في وقتٍ تنهار فيه كل جوانب حياتها.

السرد كشكل ومضمون:

وفقًا لحميد الحميداني وجيرار جينيه، فإن النص السردي له ثلاثة مستويات: القصة، والسرد، والصياغة الفنية (الحميداني، ٢٠٠٠، ٤٥). لا يقتصر السرد على مجرد نقل الأحداث، بل هو فعلٌ ينقل النص من مستوى "الأحداث" البسيط إلى مستوى "البنى الفنية". وهذا مهم لفهم كيف تستخدم كنفاني ببراعةٍ الصيغ الفنية لإيصال رسالتها السياسية والإنسانية.عندما تُصوّر كنفاني المرأة الفلسطينية، فإنها لا تكتفي بسرد المحتوى، بل تستخدم شكلاً فنياً يُلخص "حركة الأحداث، وأقوال المرأة وأفكارها" بكلماتها الخاصة (الحميداني، ٢٠٠٠، ٤٦).

عندما تُلخص كنفاني "حركات المرأة وأفكارها" بكلماتها، فإنها في الواقع تستخدم قوة سردها لتمكين شخصيتها. يُظهر هذا الاختصار أن كنفاني ليست مجرد مراقبة خارجية، بل تغوص في أعماق عقل المرأة. وهذا يُمكّن القارئ من رؤية النساء لا كـ"ضحايا صامتات" فحسب، بل ككائنات واعية، حتى في صمتها، تمتلك عالماً مليئاً بالمعنى.هنا، يتوافق سرد كنفاني مع الحوار والأوصاف التي تكشف عن النفس الأنثوية. عبد الرحيم يشير الكردي إلى أن الرواية المعاصرة، ولا سيما في الأمثلة التي تناولتها كنفاني، تعتمد على أسلوب السرد لجعل المرأة تظهر كفاعلة في المشكلات السياسية (الكردي، ٢٠٠٦، ١٠٣). ومن خلال الحوار والوصف، استطاعت كنفاني أن تُخرج المرأة الفلسطينية من صورة "أم الرجل" أو "أخت الرجل" وتصوّرها كفاعلة مستقلة وسياسية. وهذا يُعدّ منعطفًا هامًا في الأدب العربي، إذ تصبح المرأة هنا صانعة قرار وقائدة للنضال، لا مجرد رمز للجمال أو الرحمة. تكوين المرأة وجمالها:استنادًا إلى رأي ميساء سليمان الإبراهيم، يُعرَّف مفهوم "البنية" في هذه الدراسة بأنه كيفية ترتيب العناصر في بناء معماري (الإبراهيم، ٢٠١١، ١٤). في رواياتها، تُوظِّف كنفاني ببراعة عناصر حياة المرأة (معاناتها، مثابرتها، أمومتها) ضمن بنية سردية متماسكة. تمنح هذه "البنية" المرأة جماليةً تتجاوز الجمال السطحي، فهي نتاج العزيمة التي تُرسِّخها المرأة في سجن المنفى.من خلال علم السرد،

تُصوِّر كنفاني صورة المرأة كـ"بنية ثابتة" ضمن النص الروائي. الراوية التي تروي قصة المرأة الفلسطينية تتأثر دائمًا بشعور الوطنية وألم التهجير. وهكذا، يصبح السرد عند كنفاني وسيلةً لـ:

١ .إنتاج الوعي: لم تعد المرأة في الروايات مجرد صورة، بل صوتٌ يُقرر مصيره بنفسه.

٢. جماليات الدفاع: يكتسب مسار المرأة بُعدًا روحيًا جماليًا ينعكس في شخصية المرأة المجيدة بفضل السرد الفني لكنفاني.

خاتمة:

- استخدم كنفاني المرأة كرمز مقدس للوطن، مُشبهًا جسد المرأة الفلسطينية وعملها الدؤوب بخريطة للدفاع والهوية الوطنية.
- وباستخدام أساليب نفسية وحوارية، نقل كنفاني المرأة من وضع الضحية والوضع الثانوي إلى دور فاعل ومؤثر في المجال السياسي والثوري.
- إن وصف كنفاني بـ"الذكوري" غير مُبرر؛ لأن قراءة كتاباته تُثبت أن المرأة كانت الركيزة الأساسية والقوة الدافعة للثورة، لا مُهمشة.
- ومن خلال نقل مفهوم الأمومة إلى النضال الوطني، لعبت المرأة دورًا استراتيجيًا في الحفاظ على الهوية الفلسطينية ومنع طمس الهوية الثقافية والجغرافية للبلاد.

قائمة المصادر:

الكتب:

١.أبو شقرة، سليم (٢٠١٠): تطور الوعي عند المرأة في روايات غسان كنفاني، الجامعة اللبنانية، بيروت.

٢.أحمد، خليل ونجمة (١٩٩٩): النموذج الإنساني في أدب غسان كنفاني، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت.

٣.أشور، رضوى (١٩٧٧): الطريق إلى الخيمة الأخرى، دار الآداب، الطبعة الأولى، بيروت.

٤.الإبراهيم، ميساء سليمان (٢٠١١): البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

٥.أيوب، نبيل (٢٠١١): نص القارئ المختلف، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

٦.باسيل، أمل وآخرون (١٩٨٠): تطور الوعي في نماذج قصصية فلسطينية، دار الحداثة، الطبعة الأولى، بيروت.

٧.الحميداني، حميد (٢٠٠٠): بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب.

٨.جنيت، جيرار وآخرون (١٩٨٩): نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، الطبعة الأولى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، المغرب.

٩.السهلي، أيهم (٢٠٢٣): غسان كنفاني إنساناً وأديباً ومناضلاً، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

١٠.الشامي، رشاد وحسان (١٩٩٨): المرأة في الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

١١.عبد الهادي، فيحاء (١٩٨٧): وعد الغد، دار الكرمل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان.

١٢.عباس، إحسان وآخرون (١٩٧٤): غسان كنفاني: إنساناً وأديباً ومناضلاً، منشورات الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين، بيروت.

١٣.الكردي، عبد الرحيم (٢٠٠٦): السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجاً)، تقديم: طه وادي، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة.

١٤.كنفاني، غسان (١٩٩٩): الآثار الكاملة: الروايات، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

١٥.كنفاني، غسان (١٩٩٩): الآثار الكاملة: القصص القصيرة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

١٦.ماضي، عزيز وشكري (١٩٧٨): انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

١٧.المسيري، عبد الوهاب (١٩٨٢): الأيديولوجية الصهيونية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٦١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

١٨.مناصرة، حسين (٢٠٠٢): المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

الدوريات والمقالات:

١٩.دراج، فيصل (١٩٧٢): البطل في التاريخ، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٣.

٢٠.دكروب، محمد (١٩٩٢): مجلة الآداب، العدد ٧.

List of Sources:

Books:

1. Abu Shaqra, Salim (2010): The Development of Women's Consciousness in the Novels of Ghassan Kanafani, Lebanese University, Beirut.

2. Ahmad, Khalil and Najma (1999): The Human Model in the Literature of Ghassan Kanafani, Bissan Publishing, Distribution and Media, Beirut.

3. Ashour, Radwa (1977): The Road to the Other Tent, Dar Al-Adab, First Edition, Beirut.

4. Al-Ibrahim, Maysaa Suleiman (2011): The Narrative Structure in the Book of Enjoyment and Sociability, Syrian General Authority for Books, Damascus.
5. Ayoub, Nabil (2011): The Text of the Different Reader, Library of Lebanon Publishers, Beirut.
6. Basil, Amal and others (1980): The Development of Consciousness in Palestinian Short Stories, Dar Al-Hadatha, First Edition, Beirut.
7. Al-Hamidani, Hamid (2000): The Structure of Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Arab Cultural Center for Printing and Publishing, Casablanca, Morocco.
8. Genette, Gérard et al. (1989): Narrative Theory: From Point of View to Focalization, trans. Naji Mustafa, 1st ed., Academic and University Dialogue Publications, Casablanca, Morocco.
9. Al-Sahli, Ayham (2023): Ghassan Kanafani: Man, Writer, and Fighter, Institute for Palestine Studies, Beirut.
10. Al-Shami, Rashad and Hassan (1998): Women in the Palestinian Novel, Arab Writers Union, Damascus.
11. Abdel-Hadi, Fayha (1987): The Promise of Tomorrow, Dar Al-Karmel for Publishing and Distribution, First Edition, Amman.
12. Abbas, Ihsan and others (1974): Ghassan Kanafani: Man, Writer, and Fighter, Publications of the General Union of Palestinian Writers and Journalists, Beirut.
13. Al-Kurdi, Abdel-Rahim (2006): Narrative in the Contemporary Novel (The Man Who Lost His Shadow as a Model), Introduction by Taha Wadi, First Edition, Al-Adab Library, Cairo.
14. Kanafani, Ghassan (1999): Complete Works: Novels, Arab Research Foundation, Beirut.
15. Kanafani, Ghassan (1999): Complete Works: Short Stories, Arab Research Foundation, Beirut.
16. Madi, Aziz and Shukri (1978): The Impact of the June Defeat on the Arabic Novel, Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut.
17. Al-Masiri, Abdel Wahab (1982): Zionist Ideology, World of Knowledge Series, No. 61, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.
18. Munasra, Hussein (2002): Women and Their Relationship with the Other in the Palestinian Arabic Novel, Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut.

Periodicals and Articles:

19. Darraj, Faisal (1972): The Hero in History, Journal of Palestinian Affairs, Issue 13.

20. Dakroub, Muhammad (1992): Al-Adab Journal, Issue 7.